# الأسلوب القرآني في التعبير الاقتصادي

د. عبدالحميد البعلي
خبير اقتصادي

الأصل في الاقتصاد أنه وفق أصول المنهج الإسلامي، ولذلك لم نحرص على أن ننعت الاقتصاد بالإسلامي فهذا هو الأصل، وعلى هذا الأساس نقدم المقصود بالاقتصاد على أنه إسلامي وما سواه يجب أن ينعت فيقال الاقتصاد الاشتراكي أو الشيوعي، والاقتصاد الرأسمالي، وهكذا أما إذا أطلق الاقتصاد على ذلك الأصل فيه فهو الاقتصاد الإسلامي.

لقد تعددت وتنوعت الأساليب القرآنية في التعبير عن المسائل الاقتصادية مما يعكس طريقة قرآنية فذة تفيد وتخدم أساليب التناول والتحليل الاقتصادي المعاصر بأنواعها وأشكالها المختلفة.

فالقرآن الكريم يستخدم:

١- الأسلوب القصصي.

٢- ويستخدم أسلوب ضرب الأمثال.

٣- ويستخدم أسلوب الإشارة.

كما أن هناك ألفاظًا ومصطلحات وتراكيب تدل على خصوصية قرآنية في التعبير الاقتصادي.

**أولًا: أسلوب القصص القرآني ونموذج التخطيط الاقتصادي الرشيد**

إن الله سبحانه وتعالى يحكي لنا في القصص القرآني حكاية لكي نحاكيها، وننسج على منوالها باعتبارها نموذجا عمليا، تم تطبيقه فعلا، وأثبت فعاليته فصار نموذجا لنا نأخذ منه ما يناسبه ويحل مشاكلنا.

يقول الله تعالى: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلًا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلًا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾(يوسف: ٤٦-٤٩).

يقول الألوسي في روح المعاني: (١)

«لعلهم يعلمون» أي يعلمون بما أفتى ويعملون بمقتضاه. و«دأبا» تنشأ من مداومة العمل اللازم له التعب وانتصابه على الحال من ضمير (تزرعون) أي: دائبين، و«إلا قليلا مما تأكلون» أي اتركوا ذلك في السنبل إلا ما لا غنى له من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين وفيه إرشاد إلى التقليل في الأكل.

و«يأكلن ما قدمتهم لهن» أي ما ادخرتم في تلك السنين من الحبوب المتروكة في سنابلها لأجلهن. «إلا قليلاً مما تحصنون» أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة مأخوذ من الحصن، وهو الحرز والملجأ.

- وعلى أساس هذا النموذج القرآني في التعبير الاقتصادي نقول:

**ثانيًا: المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي وقطاعاته**

تتمثل المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي في ثلاثة:

١- ما يطلق عليه الاقتصاديون «المدخلات» أو عوامل الإنتاج، وتشمل الموارد والطاقات المتاحة للاستغلال والاستثمار من أجل إنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها المجتمع.

وتأتي القوة العاملة في مقدمة تلك الموارد باعتبارها قوة الإنتاج الأساسية في الاقتصاد، وكذلك رأس المال يمثل موردًا رئيسيًا لجهود التنمية والإنتاج، ويشتمل بالطبع على الموارد والثروات الطبيعية بكل أشكالها، ويكون الهدف من العملية الاقتصادية هو تعظيم الافادة من الموارد وعلاج المشكلات الاقتصادية.

٢- العمليات الاقتصادية الرئيسية الثلاث وهي ما يسمى «بالأنظمة» وهي: الاستثمار - الادخار - الاستهلاك.

ويكون الهدف هو كيف أن هذه العمليات الاقتصادية الأساسية تعمل في توافق واتساق لتحقيق التوازن المستهدف للاقتصاد.

**العمليات الاقتصادية الرئيسة هي «الاستثمار والادخار والاستهلاك»**

٣- «المخرجات» حيث يقاس نجاح الاقتصاد:

- بمدى قدرته على إنتاج السلع والخدمات التي تشبع حاجات الناس في المجتمع.

- وقدرته كذلك على عملية «التكوين الرأسمالي» لأغراض الاستثمار.

وينقسم النظام الاقتصادي في الأغلب الى القطاعات التالية:

١- قطاع الاستثمار والإنتاج.
٢- قطاع الاستهلاك أو العائلي.
٣- القطاع الحكومي.
٤- القطاع الخارجي.

ويشتمل قطاع الأعمال أو القطاع الخارجي على الوحدات والمشروعات الاقتصادية الإنتاجية من أجل السوق النهائية.

ويشتمل القطاع العائلي أو المستهلكين على جميع أفراد المجتمع بوصفهم من المستهلكين من جهة ومن أصحاب عناصر الإنتاج من جهة أخرى ويشتمل كذلك على المنشآت الخاصة التي لا تهدف إلى الربح مثل الجمعيات الخيرية.

أما القطاع الحكومي، فيشتمل على جميع المرافق العامة التي تقدم الخدمات العامة مجانًا أو بمقابل لا يتناسب مع التكلفة ولا يدخل فيه المشروعات الحكومية التي تدخل في نطاق قطاع الأعمال، وقطاع المؤسسات المالية، مثل البنوك والمصارف وشركات الاستثمار والتأمين.

والقطاع الخارجي، يشتمل على المعاملات التي تجريها مختلف القطاعات في الاقتصاد مع العالم الخارجي، وقد تكون هذه العمليات تجارية أو مالية وخدمات... الخ.

وتنقسم قطاعات السوق الكويتي إلى:

١- قطاع البنوك.
٢- قطاع الاستثمار.
٣- قطاع الخدمات.
٤- القطاع العقاري.
٥- قطاع التأمين.
٦- القطاع الصناعي.
٧- قطاع الأغذية.

**ثالثًا: التخطيط ومتطلباته**

أ- التخطيط منهج للتفكير وأسلوب للعمل

وفي إطار النظام الاقتصادي بمكوناته المختلفة يأتي التخطيط كمدخل أساسي يعمل وفق آلية النظام الاقتصادي، ومن هنا كان التخطيط منهجًا للتفكير وأسلوبا للعمل في آن واحد.

والتخطيط يسفر دائما عن وضع خطة ذات اهداف محددة في عدة مستويات باعتبار ان التخطيط عملية تفكير، ومفاضلة، واختيار بين بدائل وصولا الى هدف، أو أهداف كنتيجة محددة مطلوب الوصول إليها من خلال تقدير الفرص المتاحة، والعمل على استثمارها، والتنبؤ بالمشكلات، والإعداد لمواجهتها، وتجنبها، والعمل أيضا على توفير الظروف والأوضاع المناسبة والمساعدة على تحقيق الأهداف، ومتابعة وتقييم المنجزات.

ب- متطلبات نجاح الخطة الاقتصادية

إن نجاح الخطة الاقتصادية يشترط طائفة من الشروط اللازمة لضمان نجاحها ومن أهمها:

١- واقعية الأهداف ووضوحها إذ يساعد ذلك في تحديد أنواع

الأعمال والأنشطة المرغوبة وتوضيح «المستلزمات الضرورية» كما يعتبر أساسًا للمتابعة والتقييم.

٢- التناسق بين الأهداف بعضها البعض، وبين الوسائل بعضها البعض، وبين الوسائل والأهداف.

٣- تحديد الأهداف العامة الأولية ثم الأهداف الخاصة المشتقة.

في قصة يوسف انطبق كل ذلك ومنها نستخلصه.

**رابعًا: المؤشرات الاقتصادية في هذا النموذج اليوسفي**

ونموذج التخطيط القرآني في قصة سيدنا يوسف عليه السلام - تتضمن العديد من المؤشرات منها ما يلي:

١- التخطيط في حالة الرواج الاقتصادي بظروفها، والتخطيط في حالة الكساد الاقتصادي بظروفها على السواء، فكلا الحالين لا يغني عن التخطيط الرشيد والسديد لإمكان معاملة حالة الغني ومعالجة حالة الفقر والرمادة والحرمان، فلا يضل الناس بغناهم، ولا يشقى الناس بفقرهم ويحل بهم الضيق والحرج بسبب سوء التخطيط والتدبير والترتيب.

٢- القدرة والقوة على «التخطيط» للمستقبل، وهو ما أخبر به سيدنا يوسف، فلا تخطيط اقتصادياً رشيداً ولا خطة سوية بغير قدرة فائقة على «التنبؤ» بالمشكلات ووضع الحلول لها عن روية وبصيرة.

وجاء في تفسير الألوسي (٢) إن هذه البشارة منه عليه السلام لم تكن عن وحي بل لأن العادة جارية بأن انتهاء الجدب يعقبه الخصب، أو لأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده سبحانه بعد ما ضيق عليهم، ثم إنه عليه السلام بعد ان فقههم وارشدهم وبشرهم كان يتوقع وقوع ما أخبر به ونقول وهذا شأن التنبؤ الصادق.

بل إن ابن كثير فسر البقر بالسنن

**في قصة «السبع العجاف» تشير الآيات إلى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية**

لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر (٣).

٣- الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي «بالزراعة» أو بالنشاط الزراعي كنموذج لتحديد الهدف في الخطة الاقتصادية الرشيدة.

٤- تتضمن خطة سيدنا يوسف القرآنية الاهتمام بعوامل الإنتاج الاقتصادي بعناصرها الاستثمارية والادخارية، والقوة البشرية العاملة والمنتجة والمستهلكة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون﴾.

بل كلمة يعلمون تدل على القوة البشرية المدربة العالمة، حتى لا تهدر الموارد إنتاجا أو استهلاكا أو توزيعا، وكذلك تدل كلمة «دأبا» على العمل المتواصل الدؤوب.

كما يشير الاهتمام القطاعي في النظام الاقتصادي الى «الصناعة» المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾، أي: يعصر الناس ما كانوا يعصرونه على عادتهم من زيت ونحوه، وسكر ونحوه، حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضًا، ويقول الألوسي وفيه يعصرون من العصر المعروف أي يعصرون ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها، أو كما قيل للإشعار باختلاف ما يقع فيه زمانا وعنوانا.

٥- تشير خطة سيدنا يوسف عليه السلام الى ضرورة وضع «السياسات» اللازمة لتنفيذ الخطط الاقتصادية يدل على ذلك الإجراءات المحددة التي ذكرتها الخطة متمثلة في قول الله تعالى: ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون﴾ ﴿الا قليلا مما تحصنون﴾ وما تدل عليه من عدم الإسراف بل التقليل في الأكل، وترشيد الطاقة الادخارية سواء كان ذلك الادخار لأغراض الاستهلاك والمتمثل في قوله تعالى: ﴿فذروه في سنبله﴾ إلى قوله: ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي ادخرتم. أو لأغراض الإنتاج أو الاستثمار المتمثل في ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ أي تحرزونه وتخبئونه لبذور الزراعة.

وهكذا اشتمل هذا النموذج من المنهج القرآني في الاقتصاد على ما يلي:

١- المكونات الأساسية للنظام الاقتصادي من المدخلات والعمليات والمخرجات.

٢- القطاعات الاقتصادية.

٣- التخطيط ومتطلب نجاح الخطة الاقتصادية.

٤- المؤشرات الاقتصادية لقياس الأداة وتحقيق الأهداف في هذا النموذج اليوسفي الرشيد الذي جاء به القرآن الكريم ليكون نموذجًا علميًا ومثالاً تطبيقيًا عمليًا للخروج من الأزمات الاقتصادية وصدق الله العظيم القائل ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد: ٢٤).

**الهوامش**

١- ج١٢ص٢٥٤-٢٥٥- انظر أيضا تفسير ابن كثير ٣١٨/٤- تفسير القرطبي ٢٠٢:٩ وما بعدها.

٢- روح المعاني ج١٢ ص٢٥٦، ٢٥٧.

٣- ٣١٨/٤